الموقف المصري الرسمي من مفاوضات السلام الفلسطينية ـ الإسرائيلية 1987م ـ 1993م

The Official Egyptian Position on the Palestinian - Israeli Peace Negotiations 1987 - 1993

ادياب ذيب أحمد طه

طالب دكتوراه/ جامعة سيدي محمد بن عبد الله/ المغرب

محمد حاتمي

أستاذ مشارك/ جامعة سيدي محمد بن عبد الله/ المغرب

Diab Deeb Ahmad Taha

PhD student\ University of Sidi Mohamed Ben Abdallah\ Morocco

diabt55@gmail.com

Muhammad Hatami

Associate Professor\ University of Sidi Mohamed Ben Abdallah/ Morocco

hatmimohammed@gmail.com

تاريخ الاستلام: 12/ 2/ 2022م، **تاريخ القبول:** 17/ 4/ 2022م.

Received: 12/ 2/ 2022, **Accepted:** 17/ 4/ 2022.

DOI: 10.33977/0507-000-061-003

E-ISSN: 2616-9843

P-ISSN: 2616-9835

https://journals.qou.edu/index.php/jrresstudy

الملخص:

يتناول هذا البحث الموقف المصري من مفاوضات السلام الإسرائيلية، والتي انطلقت بفضل الجهود المصرية عقب اندلاع الانتفاضة الفلسطينية حيث أدركت ضرورة إيجاد تسوية للصراع الفلسطيني الإسرائيلي بشكل خاص؛ وللصراع العربي الإسرائيلي بشكل عام، واستثمار أحداث الانتفاضة في التوصل إلى تفاهم سياسي ينهي حالة التوتر في المنطقة وخاصة بعد تزايد الاهتمام الأمريكي بها، وتولدت القناعة بالخيار المصري لدى منظمة التحرير عقب سقوط الاتحاد السوفيتي، واندلاع أحداث حرب الخليج الثانية، ومن هنا انطلقت حقيقة مفادها أن الصراع يجب أن يحل على طاولة المفاوضات؛ لتنطلق محادثات مدريد عام (1991م) ، لتثبت للعالم أن التمثيل العربي والفلسطيني يتجه نحو سلام عادل، واحترامه الشرعية الدولية، ليشهد عام (1992م) استمرار عملية المفاوضات من خلال انعقاد جولات واشنطن والتي أثمرت عن توقيع اتفاقية (أوسلو) عام (1993م) بين الجانب الإسرائيلي والفلسطيني وبجهود ومباركة مصرية.

الكلمات المفتاحية: الموقف المصري، الانتفاضة الفلسطينية، اتفاقية مدريد، اتفاقية (أوسلو) .

Abstract

This research deals with the Egyptian position on the Israeli peace negotiations, which were launched thanks to the Egyptian efforts after the outbreak of the Palestinian Intifada, where I realized the need to find a settlement for the Palestinian - Israeli conflict in particular and for the Arab - Israeli conflict in general, and to invest the events of the Intifada in reaching a political understanding that ends the state of tension in the region, especially after the increasing American interest in the region, and the conviction of the Egyptian option was born in the PLO after the fall of the Soviet Union and the outbreak of the events of the second Gulf War. From here the fact that the conflict must be resolved at the negotiating table; The Madrid talks were launched in 1991 to prove to the world that Arab and Palestinian representation is heading towards a just peace and its respect for international legitimacy, the year 1992 witnessed the continuation of the negotiation process through the holding of Washington rounds, which resulted in the signing of the Oslo Agreement in 1993 between the Israeli and Palestinian sides, with the Egyptian efforts and blessing.

***Keywords**: The Egyptian position, the Palestinian uprising, the Madrid Agreement, the Oslo Agreement.*

المقدمة

تحتل مصر موقعاً متميزاً داخل النظام العربي كما تشغل منظمة التحرير الفلسطينية باعتبارها الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني، ومتحدثاً باسم قضية العرب القومية الأولى موقعاً خاصاً داخل النظام العربي، وبالتالي كان من الطبيعي أن تشكل العلاقات بين الطرفين نمطاً فريداً من أنماط العلاقات التي بنيت على أساس تعاوني لحل المشكلات، وإزالة ضغوط تواجه كلا الطرفين وتطورت هذه العلاقات بعد عودة مصر إلى جامعة الدول العربية بعد انقطاع بسبب توقيعها اتفاق (كامب ديفيد) ، ولدى عودتها تطورت العلاقات على نحو متصاعد في اتجاه بناء علاقة إستراتيجية مؤسسة على قاعدة المصالح المشتركة، والأخوة العربية وخصوصاً في ظل تصاعد التحدي الإسرائيلي وانكشاف خططه الواضحة للهيمنة؛ لذلك تبلورت هذه العلاقات خلال هذه الفترة من خلال انتفاضة الشعب الفلسطيني وما تلاها من أحداث سياسية وصولاً إلى توقيع اتفاقية (أوسلو) عام (1993م) .

بناء على ذلك فأهمية الموضوع تكمن في الدور الذي لعبته مصر في تقريب وجهات النظر بين منظمة التحرير والجانب الإسرائيلي، يضاف إلى ذلك دورها في إقناع الولايات المتحدة بالاعتراف بالمنظمة كممثل للشعب الفلسطيني، وإجراء المفاوضات عن طريقها، والخبرة المصرية التي استفادت منها منظمة التحرير في التفاوض مع إسرائيل، ناهيك عن دورها في إقناع المنظمة نفسها بفكرة التفاوض، والجلوس مع إسرائيل على طاولة المفاوضات، وإقناع الدول العربية بما تم التوقيع عليه.

وقصد الإحاطة بالموضوع لا بد من الإجابة على الإشكالات الآتية:

- ما هو الدور الذي قدمته مصر اتجاه العملية السياسية بالشرق الأوسط.
- هل لعبت مصر دوراً بارزاً في المفاوضات الفلسطينية الإسرائيلية.
- ما هي طبيعة التدخل المصري في المفاوضات.
- كيف اتسمت طبيعة العلاقات الفلسطينية – المصرية خلال المفاوضات.

اعتمد الباحث على المنهج التاريخي، ومنهج التحليل الوصفي، وذلك من خلال تناول العلاقات بين مصر ومنظمة التحرير في إطار المفاوضات الفلسطينية الإسرائيلية حتى عام (1993م) .

الفصل الأول: الموقف المصري من الانتفاضة الفلسطينية الأولى واتفاقية مدريد

شكل المشروع الصهيوني بإقامة دولة يهودية على الأرض الفلسطينية خطراً على الأمة العربية عامة وفلسطين ومصر خاصة، وهذا ساهم في إنشاء أرضية مشتركة التقت فوقها الأهداف والمصالح المشتركة، يضاف إلى ذلك رابطة الأخوة والعلاقات التاريخية التي تربط بين الجانبين، وتنامت هذه العلاقات عقب اندلاع الانتفاضة الفلسطينية الأولى عام (1987م) ، والمتتبع لهذه العلاقات يجد تساؤلاً حول الموقف المصري من الانتفاضة (المبحث الأول) وموقفها من اتفاقية مدريد (المبحث الثاني) .

المبحث الأول: الموقف المصري من الانتفاضة الفلسطينية عام (1987م)

جاءت الانتفاضة الفلسطينية نتيجة عوامل عدة متفاعلة ومتداخلة؛ ولكن السبب الرئيس يكمن بطبيعة الاستعمار الذي تعرض له المجتمع الفلسطيني الأعزل، إذ إنه نمط من الاستعمار الذي يجمع بين الاستيلاء على الأرض واقتلاع السكان فمنذ الاحتلال الإسرائيلي للأراضي الفلسطينية في عام (1967م) مارس هذا الاحتلال سياسة عزل وتشويه اجتماعي، اقتصادي، إنساني، سكاني تجاه مجتمع بأكمله؛ فمصادرة الأراضي، وبناء المستوطنات، والحد من التنمية الزراعية والصناعية وتطويق القدس، وقهر السكان، وضرب الحرف المحلية وغيرها كلها أسباب أدت إلى اندلاع الانتفاضة (Ghabra, 1997, pp. 80 - 86)

كانت الشرارة التي أطلقت الانتفاضة في الثامن من كانون الأول/ ديسمبر عام (1987م) صدم سائق إسرائيلي بشاحنته سيارتين فيهما عمال فلسطينيين من غزة، وعلى الفور قتل أربعة عمال وجرح تسعة آخرون حيث اعتبر الحادث متعمداً، وكان ثلاثة من القتلى من مخيم جباليا، وفي اليوم التالي قام المئات بتظاهرات داخل المخيم، وجاء رد فعل الجنود الإسرائيليين عنيفاً ومليئاً بالبطش ضد التظاهرات لتمتد التظاهرات إلى بقية غزة، وتمتد بعدها إلى مدن وقرى الضفة الغربية والقدس، ثم انتقلت التظاهرات وأشكال التضامن والتأييد إلى عرب عام (1948م) (Osman, 2011, p. 200)

أيدت منظمة التحرير الانتفاضة، وأكدت على دعمها وأهمية استمرارها، وحمايتها، والأهداف التي وجدت من أجلها على لسان رئيسها ياسر عرفات في (16/ كانون الثاني – يناير/ 1988م) قائلاً" ليطلق على مخيم جباليا منذ اليوم اسم مخيم الثورة، لكن هناك أمراً مؤكداً وهو وجود اتصالات بين الأراضي المحتلة وقيادة منظمة التحرير الفلسطينية، ويتلخص الأمر حالياً في عدم استخدام الأسلحة النارية، إن الفلسطينيين يشعرون بمدى ما يحققونه من احترام وتعاطف من هذه المواجهات حجارة في مواجهة بنادق وينوون الاستفادة منها والهدف: إنهاء الاحتلال الإسرائيلي، واستعادة أراضينا، وحقنا في تقرير المصير، وفي دولة مستقلة، نطالب بحماية دولية متمثلة بقوات الأمم المتحدة، وبانسحاب إسرائيلي من كل الأراضي المحتلة، وعقد مؤتمر دولي برعاية الأمم المتحدة مع مشاركة الدول الخمس دائمة العضوية، ومجلس الأمن، والأطراف المعنية بما فيها منظمة التحرير الفلسطينية على قدم المساواة، وذلك على أساس قرارات الأمم المتحدة متضمنة القرار (242) وحق تقرير المصير" (El Khouly, 1989, pp. 258 - 262). جاءت هذه المباركة من منظمة التحرير الفلسطينية كردة فعل طبيعية في تأييدها لأبناء شعبها الذين يعانون من جرائم الاحتلال، ويحاولون إيصال صوتهم للعالم كما أن هذه الحركة الشعبية الثورية أفشلت مخططات الاحتلال في تهميش منظمة التحرير الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني، كما أحبطت جهودها الرامية لنقل الحركة الوطنية الفلسطينية في مواجهتها مع الاحتلال إلى الخارج والشتات، وأرجعتها إلى مسارها الصحيح إلى حيث يجب أن تكون.

وكان قد سبق اندلاع الانتفاضة عقد مؤتمر القمة العربية المنعقدة في عمان بالمملكة الأردنية في (تشرين الثاني – نوفمبر/ 1987م) منح بموجبها الحق لكل دولة عربية في أن تمارس سيادتها بإعادة العلاقات السياسية التي كانت مقطوعة منذ إبرام اتفاقية (كامب ديفيد) مع مصر، وهذا الأمر أعاد للواقع المصري الجديد حيوته الذي لا بديل عنه لبناء أمن قومي فعال، خاصة وأن العرب أيقنوا في النهاية، بأنه لا يمكن اختزال مصر في حدود (كامب ديفيد) (El Khouly, O. p. Cit, 1989, pp. 19 - 22)

واجتمعت قيادة منظمة التحرير المقيمة بتونس واستنفرت مؤسساتها وأجهزتها المتخصصة وخصوصاً " لجنة الأرض المحتلة" التابعة للتنظيمات، وقررت تغطية نفقات عمل الفصائل من الخارج نحو انتفاضة الداخل، ووجدت معظم الفصائل مدخلاً وطنياً لتغطية نفقاته المترتبة على مشاركتها في فعاليات الانتفاضة، كما شكلت القيادة الفلسطينية لجنة عليا لقيادة الانتفاضة مركزها تونس، وقد انبثقت عنها لجنة عمل يومي مصغرة برئاسة ياسر عرفات، وشكلت لجنة فرعية لدعم الانتفاضة في عمان، وأخرى مركزها القاهرة على أن تبقى كلها في حالة استنفار وتجتمع يومياً وعلى مدار الساعة (Nofal, 2000, p. 111) .

وحققت الانتفاضة الفلسطينية أوسع مشاركة وطنية لها في مواجهة الاحتلال الإسرائيلي منذ عام (1967م) على نحو يجعل من إستراتيجية العصيان المدني أمراً متاحاً للمرة الأولى، فقد سارعت قوى منظمة التحرير الفلسطينية في كانون الثاني (1988م) لتشكيل ما عرف بالقيادة الوطنية الموحدة المكونة من: حركة فتح، والجبهة الشعبية، والجبهة الديمقراطية، والحزب الشيوعي الفلسطيني (Baumgarten, 2006, p. 324)

حيث تمكنت القيادة الوطنية الموحدة من إقامة ما يمكن أن يسمى بأول درجة من درجات السلطة الوطنية الفلسطينية على امتداد الأرض المحتلة بعد عام (1967م) ، وتمارس هذه السلطة الوطنية مسئولياتها من خلال شبكة واسعة من مئات اللجان الإقليمية والفرعية التي تكونت غالبيتها بمبادرات شعبية في القرى، والمدن، والمخيمات، وحتى السجون والمعتقلات (El Khouly, O. p. Cit, 1989, p. 84)

تعد مصر بوابة غزة إلى فلسطين التي تجمعها بها وحدة الدم، والدين، واللغة، وعمدت على مدار الاحتلال الإسرائيلي على استنهاض المشروع الوطني الفلسطيني المتمثل بمنظمة التحرير الفلسطينية، وتقديم الدعم المادي والسياسي للمنظمة انسجاماً مع البعد القومي للقضية المبني على فهم عقلاني وواقعي لخطورة المشروع الصهيوني على المنطقة العربية برمتها، وزاد الاهتمام المصري بالقضية الفلسطينية عقب اندلاع الانتفاضة، حيث أدركت مصر ضرورة إيجاد تسوية للصراع الفلسطيني الإسرائيلي بشكل خاص والصراع العربي الإسرائيلي بشكل عام، وذلك من خلال دعمها لإقامة مؤتمر دولي تحضره كافة الأطراف العربية والإسرائيلية في المنطقة للبحث والتفاوض بين الجانبين؛ لإيجاد تسوية سلمية للصراع في المنطقة على أن يقوم مجلس الأمن الدولي والدول دائمة العضوية فيه بلعب دور رئيس في الإشراف على المفاوضات مستمداً قراراته من قراري (242 و 338) الصادرين عن مجلس الأمن (Taraki, 1990, pp. 27 - 57) .

وفي أول تعليق للرئيس المصري محمد حسني مبارك على

الانتفاضة، قال لياسر عرفات إني قرأت تصريحاً لك تقول في إنك أعطيت الأمر بالانتفاضة، وذلك ظلم للأولاد والشباب لأن تصوير تضحياتهم كأنها حدثت بالأمر ليس حقيقة، وحتى إذا كان حقيقة فمن مصلحتك ومصلحة الشعب الفلسطيني أن تظهر الانتفاضة أمام للعالم كثورة شعب دفعه اليأس إلى قبول التضحية بأبنائه (Hei-kal, 2004, pp. 199 - 201) أراد الرئيس محمد حسني مبارك أن تظهر الانتفاضة على سجيتها للعالم؛ كثورة شعبية ولدتها جرائم الاحتلال وممارساته القمعية والعنصرية والتي ساهمت في إيجاد وعي وطني يرفض هذه الممارسات اللاإنسانية ويرفض وجود الاحتلال، لا أن تظهر كثورة وطنية خطط لها من قبل الأحزاب والحركات الفلسطينية لأن هذا الأمر سوف يضعف من مدى التعاطف العربي والإسلامي والدولي اتجاهها.

وطرح الرئيس المصري محمد حسني مبارك بعد شهر من الانتفاضة مبادرة تهدف إلى دفع عجلة السلام، وتقترح على الأطراف المعنية وقف كافة أنواع العنف والقمع في الأراضي المحتلة لفترة ستة أشهر، يتم من خلالها وقف الاستيطان، واحترام الحقوق السياسية، والحريات الأساسية للشعب الفلسطيني، وضمان سلامة وحماية الشعب الفلسطيني تحت الاحتلال بواسطة آليات دولية مناسبة، والتحرك نحو عقد مؤتمر دولي للسلام بهدف التوصل إلى تسوية شاملة تتضمن الاعتراف بحق كل الدول في المنطقة في العيش بسلام وتمكين الشعب الفلسطيني من حقه في تقرير مصيره (Muslim, 1996, pp. 212 - 224) . جاء هذا الإعلان بعد المشاورات المصرية الفلسطينية لما يدور من أحداث داخل الأراضي الفلسطينية، وما تمارسه قوات الاحتلال من ممارسات وسياسات قمعية، ويبدو أن هذا الإعلان كانت غايته حماية أبناء الشعب الفلسطيني من جرائم الاحتلال وممارساته القمعية ومن الإرهاب المنظم ضد الأطفال، والنساء، والرجال، والمؤسسات الفلسطينية وإظهار الانتفاضة على سجيتها الباحثة عن الحقوق الإنسانية والوطنية أمام الرأي العام العربي والدولي بالإضافة إلى إيجاد حالة توازن ما بين سياسة البحث عن السلم، واستمرار المقاومة، والانتفاضة.

كما قاد فيصل الحسيني على رئيس جمعية الدراسات العربية "بيت الشرق" في القدس مشاورات مع موشي عميراف أحد أعضاء مركز (حيروت الإسرائيلي) من أجل الوصول إلى تسوية سياسية في الشرق الأوسط، وهو ما قابله (إسحاق رابين) باعتقال فيصل الحسيني، والقيام بغارة جوية على مخيم عين الحلوة في لبنان (El Khouly, O. p. Cit, 1989, p. 183)وهو ما يبرز الدموية الإسرائيلية، ومحبة الجانب الفلسطيني للعيش بأمان بعد استرجاع حقه المسلوب في وطنه.

وأعلن ياسر عرفات من القاهرة بعد اجتماع مع الرئيس المصري محمد حسني مبارك عام (1988م) أن منظمة التحرير الفلسطينية قررت إيقاف أعمال العنف جميعها ضد إسرائيل خارج الأراضي المحتلة لكنها تحتفظ بالحق في مقاومة الاحتلال في الأراضي المحتلة ذاتها، وطالب المجتمع الدولي في المقابل بإلزام إسرائيل بوقف أعمال الإرهاب جميعها في الداخل والخارج، وعرف هذا الإعلان بإعلان القاهرة (Heikal, 2004, p. 201) .

حاولت إسرائيل تهميش منظمة التحرير الفلسطينية من خلال تشكيل ما يسمى بروابط القرى كقيادة من الداخل بديلة عن قيادة منظمة التحرير الفلسطينية بالخارج وهو ما تم بالفعل، ولكن انهارت هذه الروابط بفعل الحركات الجماهيرية (El Khouly, O. p. Cit, 1989, p. 53)

حيث أعلن رئيس الوزراء الإسرائيلي (إسحاق شامير) « Yitzhak Shamir" مبادرة أطلق عليها اسم (إسحاق شامير) في (14/ أيار – مايو/ 1989م) تضمنت الرؤية الإسرائيلية الممكنة لتسوية القضية الفلسطينية من خلال أن تجرى انتخابات إقليمية في الأراضي المحتلة بالضفة الغربية وقطاع غزة التي ستقسم إلى عشر دوائر انتخابية لهذا الغرض، وأن يتفاوض الفلسطينيون الذين سيتم انتخابهم مع الحكومة الإسرائيلية حول الحكم الذاتي وأن يتفاوض ممثلو الفلسطينيين مع الحكومة الإسرائيلية حول إجراءات التسوية الشاملة للأراضي المحتلة، وبعد إقرار الحكم الذاتي بثلاثة أعوام يمكن للفلسطينيين المنتخبين والحكومة الإسرائيلية تقديم المقترحات التي يرونها، ولا يمكن اشتراك فلسطيني الخارج في الانتخابات، ورفض قيام دولة فلسطينية أو إجراء أية مفاوضات مع منظمة التحرير الفلسطينية، وهو ما رفضته منظمة التحرير (newspaper H. , 15/ 5/ 1989) .

انطلقت على إثر ذلك مبادرة طرحها الرئيس حسني مبارك في جولة أوروبية وأمريكية واسعة النطاق بدأت في (بون) ، وشملت (باريس، وواشنطن وروما، ولندن، وأثينا) ، وتدعو المبادرة المصرية إلى تهدئة الوضع الراهن في الأراضي المحتلة مقابل تعهد إسرائيلي بوقف المستوطنات في المناطق المحتلة عام (1967م) لمدة ستة أشهر، ووقف ممارسات القمع والإبعاد التي تمارسها إسرائيل والإعداد لمحادثات سلام تجري تحت مظلة الأمم المتحدة بمشاركة الدول دائمة العضوية في مجلس الأمن، وكل أطراف النزاع بما في ذلك منظمة التحرير الفلسطينية التي يكون تمثيلها ضمن وفد أردني فلسطيني مشترك، وعلى الرغم من أن المبادرة المصرية حظيت بمباركة رؤساء حكومات دول أوروبا الغربية إلا أن الأمريكيين تحفظوا على العديد من بنودها (Al - Jama'i, 2011, pp. 262 - 263) . تظهر هذه المبادرة الرؤية المصرية للانتفاضة، وإدراكها بأن هذه الانتفاضة ما هي إلا وسيلة ضغط على الاحتلال من أجل انتزاع بعض الحقوق الفلسطينية، وبأنها توجه لن يكون في نهاية مطافه الحصول على استقلال كامل عن الاحتلال وأن تدار أي مباحثات بين الجانبين على مستوى دولي خشية تهرب الاحتلال الإسرائيلي من أي اتفاق يتم إبرامه، وأن يكون هذا الأمر من خلال الممثل الشرعي للفلسطينيين منظمة التحرير، كما تظهر أن أي محاولة لاستثناء منظمة التحرير أو إيجاد قيادات محلية بديلة ما هي إلا وهم يحول الاحتلال إيجاده وإيهام المجتمع الدولي به.

نجحت مصر بعد جهود مكثفة في فتح حوار مباشر بين منظمة التحرير الفلسطينية والولايات المتحدة في (كانون الأول – ديسمبر/ 1988م) وشكل ذلك مرحلة جديدة في ملف السلام في الشرق الأوسط، حيث طرح وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية (جورج شولتز) (George Pratt Shultz) بنود مبادرته وجاء فيها: إقامة سلام شامل يضمن الأمن لكل دول المنطقة، وتبدأ مفاوضات في موعد مبكر محدد بين إسرائيل وبين كل واحدة من جاراتها تكون مستعدة للتفاوض معها على أساس قراري مجلس

الأمن (242 و338) بكل بنودهما، ويكون التمثيل الفلسطيني في إطار الوفد الأردني – الفلسطيني، وتعالج القضية الفلسطينية في مفاوضات بين الوفدين، وهو ما تم رفضه من منظمة التحرير الفلسطينية، كما أعلنت الولايات المتحدة عن استعدادها لفتح حوار جوهري مع ممثلي منظمة التحرير (Sultan, 2002, pp. 245 - 246).

كما قام الرئيس مبارك بطرح خطته للسلام ذات النقاط العشر في حزيران – (يونيو 1989م) ؛ لتكون أساساً لعملية التفاوض للوصول إلى سلام شامل والتي نصت على ضرورة حل القضية الفلسطينية وفقاً لقراري مجلس الأمن (242 و 338) وإقرار الحقوق السياسية للفلسطينيين، كما نصت على مبدأ الأرض مقابل السلام، ووقف كافة الأنشطة الاستيطانية الإسرائيلية، كما رحبت مصر بمبادرة وزير الخارجية الأمريكي (جيمس بيكر) (James Baker) في (تشرين الأول أكتوبر/ 1989م) والتي أكدت على ضرورة الحوار بين الفلسطينيين والإسرائيليين باعتبارها الخطوة الأولى للتوصل إلى سلام في المنطقة (Taraki, 1990, pp. 27 - 57) . وهنا يظهر الاهتمام المصري بانتزاع الحقوق الفلسطينية وأن تدار المفاوضات بين الجانبين من خلال القناة الشرعية للشعب الفلسطيني ممثلة بمنظمة التحرير الفلسطينية.

المبحث الثاني: الموقف المصري من مؤتمر مدريد للسلام

يبدو أن الإطار الذي عقد فيه مؤتمر مدريد يمنحه أهمية ومكانة خاصة؛ فهو المؤتمر الذي جمع بين العرب وإسرائيل وجهاً لوجه للمرة الأولى في تاريخ النزاع العربي – الإسرائيلي.

وجاء الاهتمام الدولي والإقليمي بعملية التسوية السياسية للصراع العربي الإسرائيلي في أعقاب هزيمة العراق ودحر قواتها من الكويت عام (1991م) ، وكذلك عقب انهيار الاتحاد السوفيتي بكل ما كان في ذلك من دلالات دولية، ولا سيما على الأطراف العربية المعنية بعملية التسوية خاصة منظمة التحرير الفلسطينية، وقد أكدت هزيمة العراق محدودية الخيار العسكري العربي (Abu Zuhaira, 2003, p. 25) وجسدت تردي الموقف الاستراتيجي العربي، وما نجم عنها من انفراط الصف العربي، وفرض الوصاية المباشرة أو غير المباشرة على العديد من الأقطار العربية، إن لم يكن عليها جميعاً، فقد دخلت الدول العربية المفاوضات وهي في أقصى درجان انقسامها وشلل مؤسساتها الإقليمية (Burhan, 1999, pp. 30 - 34).

لقد تركت حرب الخليج الثانية نتائج وانعكاسات خطيرة على القضية الفلسطينية وأوضاع الفلسطينيين داخل الأراضي المحتلة وخارجها، وطرحت سؤالاً جديداً بخصوص مصير منظمة التحرير الفلسطينية ودورها السياسي، واحتلت القضية الفلسطينية مكان الصدارة في إطار الجدل حول الموقف الذي أطلقته الإدارة الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط بهدف التوصل إلى سلام شامل (Ahmed & Ahmed, 1988, p. 152) .

وأدى سقوط الاتحاد السوفيتي، وغياب دور روسيا السياسي إلى اتجاه العالم نحو القطبية الواحدة وسيادة النظام الاقتصادي الرأسمالي، وهو ما فرض على الدول العربية الدخول في علاقات دولية غير متكافئة، وليست في صالحها (Al - Shazly, 1995, p. 88)

وكان الخوف بعد نهاية حرب الخليج الثانية يكمن في استفراد الولايات المتحدة بمنطقة الشرق الأوسط، وخاصة في ظل العلاقات الاستثنائية التي تربط أمريكا بإسرائيل، وأن يكون (سيناريو) الحل إعاقة أي تأثير مستقبلي للقضية الفلسطينية في مجريات الأمور في منطقة الشرق الأوسط، ووفق المصالح الإسرائيلية التي دائما ما كانت تتطلع إلى تجاوز منظمة التحرير، فكان هنا لا بدّ من التسريع في وتيرة المفاوضات، والضغط على إسرائيل من أجل انتزاع أكبر قدر ممكن من الحقوق الفلسطينية؛ في ظل استمرار الانتفاضة الفلسطينية.

بادر الرئيس الأمريكي (جورج بوش) "George Bush"في (6/ آذار – مارس/ 1991م) إلى الدعوة لعقد مؤتمر للسلام من أجل إيجاد حل لأزمة الشرق الأوسط على أسس وشروط محددة؛ حدد فيه رؤية إدارته لأسس السلام في الشرق الأوسط من خلال الأرض مقابل السلام، وتطبيق قراري (242 و 338) خلال المفاوضات، وتحقيق الحقوق السياسية المشروعة للشعب الفلسطيني وضمان الأمن والسلام لدولة إسرائيل(Hudson, To Play Hegemony Fifty Years of U. S Policy toward the Middle East, 1996, p. 31).

تحركت الإدارة الأمريكية سريعاً لاستثمار الهزيمة العربية في الخليج، فبدأ وزير الخارجية الأمريكي (جيمس بيكر) " James Baker " رحلاته المكوكية إلى أقطار الوطن العربي بهدف فصل القضية الفلسطينية عن غيرها من مسارات الصراع العربي – الإسرائيلي (Suleiman, 1996, pp. 256 - 257) .

فنجاح التحالف ضد العراق ونجاح أمريكا في التحالف مع سورية، وجذب مصر والسعودية ترك الانطباع لدى الرئيس الأمريكي ومستشاريه أنه ستكون هنالك فرص جديدة في مرحلة ما بعد حرب الخليج، في ذات الوقت فإن الفلسطينيين والأردنيين الذين عبروا عن دعمهم لصدام حسين كانوا يبحثون عن فرصة لتحسين علاقاتهم مع الغرب وبقية العالم العربي (Abraham, 2007, p. 64). ويبدو أن الاهتمام الأمريكي بالمفاوضات بالمنطقة سيمكنها من التوصل إلى قدر أكبر من الاستقرار السياسي والأمني كمقدمة ضرورية لإعادة حيطتها السياسية وهو ما يخدم المصالح السياسية والاقتصادية للولايات المتحدة.

بالأساس لم تقبل منظمة التحرير، وسورية، ولبنان والأردن دخول هذه المفاوضات إلا لأنها لا تملك خياراً آخر، ولأن دخولها يشكل الشرط الوحيد لحفاظها على علاقات غير عدائية مع الولايات المتحدة والدول الغربية عامة، أما إسرائيل فقد أدركت بعد تردد أن المفاوضات قد أصبحت الغطاء المثالي لتمرير عملية تهويد الأراضي المحتلة وهضمها وحجب انتباه الرأي العالمي عن حقيقة سياستها الاستعمارية المكشوفة (ghliun, 1999, p. 21) .

منذ اللحظات الأولى لتحرك وزير الخارجية الأمريكي (بيكر) " Baker" وعلى امتداد فترة الإعداد والتحضير التي امتدت من (آذار – مارس/ 30 تشرين الأول – أكتوبر) كان هدفه تطوير وتقريب المواقف المتناقضة للأطراف وخلال جولاته الثماني على دول المنطقة لم تواجه مبادرة الرئيس (بوش) "Bush" أي منافسة دولية نذكر أو أي اعتراض عربي (Nofal, The story of the Oslo agreement, the narrator of the whole truth, «Oslo cooks», 1995, p. 28)ولدى اجتماعه بوفود فلسطينية من الأراضي المحتلة اشترط أن يكون الأعضاء الراغبين في المشاركة بالمؤتمر ليسوا من أعضاء

منظمة التحرير، وأن يكونوا راغبين في إجراء مفاوضات مباشرة والعيش بسلام مع إسرائيل (Ashrawi, 1995, p. 83) .

وكان (جيمس بيكر) قد قام بزيارة لمصر في شهر نيسان – (ابريل) كان يرمي من خلالها إلى بث الطمأنينة والحصول على تعهد بالمشاركة في مؤتمر إقليمي للسلام، بالإضافة إلى رغبته في استخدام مصر كورقة ضغط على سوريا ومنظمة التحرير من أجل المشاركة في المؤتمر (Baker, 1999, pp. 425 - 447) .

كانت قيادة منظمة التحرير قد رحبت بمبادرة الرئيس الأمريكي (بوش) "Bush" ووافقت بعد جلسات عدة من النقاش بالإجماع السماح لوفد من الداخل باللقاء مع الوزير (بيكر) "Baker" (Al - Masry, 2008, p. 445)من جهتها رأت منظمة التحرير في مبادرة (بوش) مدخلاً جديداً للمفاوضات كونها تقوم على نظرية الأرض مقابل السلام وقراري مجلس الأمن (242 و) 338 التي لا تتعارض مع قرارات المجلس الوطني الفلسطيني، أو قرارات القمم العربية (Nofal, The coup The secrets of the Palestinian track negotiations - Madrid - Washington, 1996, p. 59).

شكلت مفاوضات مدريد التي بدأت في تشرين الأول – (أكتوبر/ 1991م) بداية لعملية سلمية معقدة الأبعاد تترك كل يوم آثاراً في الواقع السياسي العربي، فبعد عقود من الصراع المسلح وصلت الدول العربية كما وصلت إسرائيل إلى حقيقة مفادها أن الصراع يجب أن يحل على طاولة المفاوضات وخاصة بعد سقوط الاتحاد السوفيتي وحرب الخليج الثانية، ومنذ أن بدأت مفاوضات مدريد في (كانون الأول – ديسمبر/ 1991م) بين إسرائيل وكل من سوريا، وفلسطين ولبنان، والأردن، وبمشاركة دولية يمكن القول إن مرحلة جديدة من الصراع والسلام بين العرب وإسرائيل قد بدأت.

وما بدأ التمهيد لعقد مؤتمر مدريد حتى عادت قوة الدفع في العلاقات بين مصر ومنظمة التحرير إلى سابق عهدها بل أكثر (Nafaa, 1997, p. 29) فقد قرر المجلس المركزي لمنظمة التحرير الفلسطينية المنعقد في الفترة من (16 – 18/ تشرين الأول – أكتوبر/ 1991م) في تونس بالتعامل الايجابي مع الجهود الرامية لتحقيق تسوية في المنطقة عبر مؤتمر للسلام، كما قرر المجلس المشاركة من خلال وفد فلسطيني – أردني مشترك على أساس مستقل ومتكافئ، وعند اختتام أعمال المجلس في (18/ تشرين الأول – أكتوبر/ 1991م) اقترح رئيس الدائرة السياسية في منظمة التحرير فاروق القدومي بالاتفاق مع ياسر عرفات تشكيل وفد لزيارة مصر ويلتقي مع الرئيس مبارك (Hawatmeh, 1998, pp. 65 - 66) ويبدو أن ياسر عرفات أراد اطلاع مصر على ما يجري لدور مصر الإقليمي والدولي، والاستفادة من علاقة مصر بالولايات المتحدة، ومن التجربة المصرية بالمفاوضات مع إسرائيل، وخاصة بعد الضغط المصري على ياسر عرفات من أجل القبول بالمشاركة بالمؤتمر.

وجهت الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي في (18/ تشرين الأول – أكتوبر/ 1991م) الدعوة لعقد مؤتمر (مدريد) ، كما وجهت الولايات المتحدة الولايات المتحدة رسائل تطمينات إلى الأطراف معبرة عن وجهة النظر الأمريكية بشأن المفاوضات وجوانب التسوية (Shash, 1995, pp. 206 - 207) .

تم افتتاح مؤتمر (مدريد) في (30/ تشرين الأول – أكتوبر) وكان يرأسه الرئيس الأمريكي (بوش) "Bush" ورئيس الاتحاد السوفيتي (غورباتشوف) "Gorbachev» وساد الغضب والاتهامات وقائع افتتاح المؤتمر (Abraham, 2007, p. 71) وشهد شهر (تشرين الثاني – نوفمبر/ 1991م) ملامح فجر جديد ينبئ باحتمالات فتح باب التسوية السياسة للصراع العربي الإسرائيلي؛ وذلك بانعقاد الجلسة الأولى من مؤتمر السلام بين العرب وإسرائيل في (مدريد) تحت الرعاية الأمريكية، والاتحاد السوفيتي، وبحضور الأطراف العربية الرئيسة مصر وسوريا، ولبنان، ووفد أردني فلسطيني مشترك فضلاً عن مراقب من مجلس التعاون الخليجي وجهاً لوجه مع إسرائيل التي عمد (إسحق شامير) "Yitzhak Shamir" إلى رئاسة وفدها بنفسه ليمارس هوايته في التطرف والرفض، ورغم أن أحداً لم يكن يتوقع نتائج حاسمة وعاجلة من هذه الجولة إلا أن بعض الجليد قد ذاب خلالها وبدأ فتح الطريق لمحادثات ثنائية ومتعددة الأطراف (Nafie, 1993, p. 332)

تفاوتت درجة حماس الدول العربية لمؤتمر (مدريد) فكانت مصر من أشد المؤيدين والمتحمسين للمؤتمر تلتها دول الخليج، وقد تمثل الموقف المصري فيما يلي (Heikal, Secret Negotiations between the Arabs and Israel, 1996, pp. 270 - 271)

1. الموافقة على تشكيل وفد أردني فلسطيني مشترك وعدم مشاركة منظمة التحرير الفلسطينية في هذه المرحلة، على أن يكون دورها مرجعياً في القرارات التي يتخذها الوفد.
2. تمثل مدينة القدس جزءاً من الأراضي المحتلة التي تخضع للتفاوض، كما أن لها أهمية خاصة عربياً وإسلامياً، في الوقت نفسه يمكن تنحية موضوع القدس إلى مرحلة تالية في المفاوضات.
3. التمسك بقرارات مجلس الأمن، ومبدأ عدم الاستيلاء على أراض بالقوة المسلحة وتطبيقها لاستعادة الأراضي التي احتلت عام (1967م) .

جاءت اتفاقية (مدريد) لتثبت للعالم أن التمثيل العربي والفلسطيني يتجه نحو السلام العادل واحترامه للشرعية الدولية، ونجح الوفد الفلسطيني في تحقيق إدارة دقيقة للعلاقة بالوفود العربية الأخرى وفي بدء آلية التفاوض حول الحل، وحافظ على وحدة الموقف العربي.

ويلاحظ أن التنسيق المصري الفلسطيني في مرحلة ما بعد مدريد سار في اتجاهين متوازيين: الأول قيام مصر بوضع خبراتها التفاوضية مع إسرائيل وما تملكه من وثائق في تصرف الوفد الفلسطيني في (مدريد) ، والآخر استمرار الجهود الرامية إلى فتح قنوات اتصال مباشر ما بين منظمة التحرير والولايات المتحدة (Nafaa, 1997, pp. 40 - 41) .

الفصل الثاني: الموقف المصري من سير المفاوضات في واشنطن وأسلو

تتميز مصر بكونها أول دول عربية خاضت جانب المفاوضات مع إسرائيل، بالإضافة إلى العلاقات الجيدة التي كانت تربطها مع الولايات المتحدة، وفي ظل التقارب المصري – الفلسطيني عقب اندلاع الانتفاضة الفلسطينية، كان لا بدّ للمفاوض الفلسطيني من

الاستفادة من هذه الأمور باطلاع مصر ومشاورتها بالمفاوضات الجارية، وإن المتتبع ليسر المفاوضات ليجد تساؤلاً حول الموقف المصري من سير مفاوضات واشنطن (المبحث الأول) ودورها في اتفاقية أوسلو (المبحث الثاني) .

المبحث الأول: الموقف المصري من مفاوضات واشنطن

انعقد اجتماع على مستوى وزراء الخارجية العرب يومي (31/ آذار – مارس – 1/ نيسان – أبريل/ 1992م) ضم لبنان، وسوريا، ومنظمة التحرير، والأردن، وسجل المشاركون عدم تسجيل أي تقدم في مفاوضات السلام مع أن الموقف العربي كان إيجابياً، وقرروا المشاركة في الجولة الخامسة من المفاوضات الثنائية مع إسرائيل، كما اتفقوا على تحديد إستراتيجية موحدة للأطراف للعربية المشاركة في مفاوضات السلام حول الشرق الأوسط (Shaheen, 1992, p. 103).

شهدت واشنطن في (أواخر/ نيسان – أبريل 1992م) بدء الجولة الخامسة من المفاوضات العربية الإسرائيلية، وسط أجواء من التشاؤم من إحراز أي تقدم على غرار جولات المحادثات السابقة (newspaper, 27/ April 1992) .

ليشهد صيف عام (1992م) رياح تغيير عصفت بالمنطقة خاصة بعد وصول (رابين) «Rabin» للحكم بدلاً من (شامير) «Shamir" كرئيساً للوزراء في إسرائيل (Abraham, 2007, pp. 74,86)حيث شهد شهر (آب – أغسطس/ 1992م) وصول حزب العمل للحكم، وكان شعارهم في الحملة الانتخابية أهمية التفاوض مع العرب على أساس قراري مجلس الأمن (242 و 338) ، وهو ما كانت المنظمة الفلسطينية تنادي بضرورة تطبيقه والعودة إليه (Nofal, The coup The secrets of the Palestinian track negotiations - Madrid - Washington, 1996, p. 186)وفي الرابع والعشرين من شهر (آب – أغسطس/ 1992م) موعد بدء الجولة السادسة من محادثات واشنطن؛ قبلت إسرائيل بقرار مجلس الأمن (242) في كل أقسامه وشروطه كأساس لمحادثات السلام الراهنة واستمرت المفاوضات بعد الجولة السادسة التي انتهت في الخامس والعشرين من (أيلول – سبتمبر 1992م) ، وتم عقد جولتين أخريين قبل نهاية العام ثم جرى تعليق المفاوضات حتى (ربيع 1993م) بفعل التأثير المشترك لفترة الانتخابات الرئاسية المبكرة وتغيير الإدارة الأمريكية من ناحية، وتأثير أزمة المبعدين الفلسطينيين إلى مرج الزهور في لبنان من ناحية أخرى (Muhammad, vol. 25, pp. 14 - 15) .

اتفق وزراء خارجية مصر، وسوريا، ولبنان، والأردن وممثل منظمة التحرير في دمشق في أواخر (آذار – مارس/ 1993م) على تأجيل اتخاذ قرار بشأن المفاوضات مع إسرائيل لكسب بعض الوقت ومناقشة أفضل الشروط مع واشنطن لاستئناف المحادثات (Newspaper, 1993) ويبدو أن مصر كانت تدرك بأن ما يجري من محادثات في واشنطن لا يمكن أن يعبر عن حلول تقنع الجانب الإسرائيلي والفلسطيني بها، ولكنها كانت تدرك أهمية هذه المحادثات في إطار تقريب وجهات النظر نحو عملية سلام تلبي ولو جزء بسيط من طموحات الشعب الفلسطيني في تحقيق كينونته، وكانت مصر تهدف من وراء هذه الخطوة فهم توجهات الجانب الإسرائيلي ومقترحاته من عملية السلام، وما هي أنجع الطرق للوصول إلى أكبر قدر من التنازلات الإسرائيلية في المرحلة التالية، بالإضافة إلى كسب الوقت في تحقيق إجماع ودعم عربي ودولي للقضية الفلسطينية.

وبدأت في مطلع (حزيران – يونيو/ 1993م) الجولة العاشرة من مفاوضات واشنطن، وكان الموضوع الفلسطيني محور المداولات (Shaheen, A Bet on the Perfect American Partner, 1993, p. 112)، ويبدو بأن الجهود في هذه الفترة وآلية العمل وبوادر الاتفاق كانت تصب جميعها باتجاه المفاوضات السرية التي كانت تبرم في (أوسلو) .

المبحث الثاني: الموقف المصري من اتفاق (أوسلو)

سعت منظمة التحرير الفلسطينية للوصول إلى اتفاق يكون مدخلاً لتحقيق سلام للفلسطينيين وإيجاد خطوة حقيقية نحو قيام الدولة الفلسطينية، وإنهاء حالة الصراع وخاصة بعد التعنت الإسرائيلي في محادثات واشنطن، فكانت قناة (أوسلو) .

حيث طلب كل من فيصل الحسيني وحنان عشراوي وعفيف صافية ممثل المنظمة في لندن على هامش الاجتماع الذي عقد في (3/ كانون الأول – ديسمبر 1992م) في (لندن) للجنة القيادة الخاصة بالمفاوضات المتعددة الأطراف، من أبي علاء – أحمد قريع المنسق العام للوفود الفلسطينية للمفاوضات متعددة الأطراف – اللقاء مع (يانير هيرشفيلد) عضو حزب العمل ومستشار كل من (شمعون بيريز) ووزير خارجيته الإسرائيلي ونائبه (يوسي بيلين) وتم اللقاء بالفعل، وانصب الحديث بشكل مباشر على القضايا السياسية الخاصة بمفاوضات واشنطن، ومن هنا كانت البداية لفتح حوار سري (Abbas, Oslo road, 1994, pp. 178 - 180)

لتبدأ قناة (أوسلو) بعقد اجتماع بين مدير منظمة "الفافو" النرويجية – تيرجي رود لارسن – «Terje Roed - Larsen"و – (يوسي بيلين) – «Yossi Beilin" نائب وزير الخارجية الإسرائيلي يضاف إلى ذلك ياسر عرفات ومحمود عباس من منظمة التحرير، وفي أيلول (1992م) اقترح وزير الخارجية النرويجية تنشيط قناة (أوسلو) الخلفية والسرية بين إسرائيل ومنظمة التحرير بعد زيارة قام بها إلى إسرائيل، وانعقدت مفاوضات (أوسلو) تحت عنوان ندوة عن الموارد البشرية، تنظمها (الفافو) في فيلا منعزلة في (سارسبورغ) على مقربة من (أوسلو) في الفترة من 20 (– 24/ كانون الثاني – يناير/ 1992م) ، وطرح كجدول للمفاوضات خيار غزة أولاً وخطة مساعدات دولية للضفة، وغزة، وتعاون اقتصادي متين بين إسرائيل وسلطة الحكم الذاتي (Hawatmeh, 1998, pp. 85 - 86) .

وعقد اجتماع آخر بين الجانبين في (21/ كانون الثاني – يناير/ 1993م) من أجل التوصل إلى صيغة إعلان للمبادئ، وفي هذه الأثناء كان الكنيست الإسرائيلي قد ألغى القانون الذي يحظر الاتصال بين الإسرائيليين ومنظمة التحرير، وقد خرج الجانبان من هذه المحادثات وهو يعرف بأن الطرف الآخر مستعد للجلوس مرة أخرى من أجل التفاوض (Halter, 1994, pp. 70 - 77) .

عاد الطرفان للاجتماع في منتصف (شباط – فبراير/ 1993م) وتم الاتفاق على دمج مواقف الطرفين في ورقة واحدة

سميت نقاط مسودة إعلان مبادئ مطروحة للنقاش، وأبدى الإسرائيليون استعدادهم للدخول مباشرة في بحث موضوع الانسحاب من غزة؛ لكن ضمن إطار اتفاق أوسع من نوع إعلان مبادئ، أو اتفاقية إطار (Suleiman, 1996, p. 265) وكان الإسرائيليون يصرحون بأنهم سوف ينسحبون من قطاع غزة من طرف واحد، واقترح (شمعون بيرس) "Shimon Peres» فكرة أريحا كجزء من الضفة الغربية إضافة إلى غزة خشية من أن يرتاب الفلسطينيين من فكرة غزة فقط (Peres, 1994, p. 36) .

كان هم عرفات خلال هذه المرحلة كتم أمر المفاوضات (Halter, 1994, p. 91) ويقول عضو اللجنة التنفيذية في منظمة التحرير محمود عباس (Abbas, 1995, p. 275) في هذا الشأن" كانت المحافظة على سرية المفاوضات في مسار (أوسلو) صعبة إن لم تكن مستحيلة لاعتبارات موضوعية، وحيث إننا كنا مضطرين للإفصاح عن هذا المسار دون أن تتأثر سريته سواء على المستوى العربي أو الدولي أو الفلسطيني، فإن اختيار الأشخاص أو الجهات أو الدول التي يجب أن تعرف كان صعباً تحت طائلة إساءة هذا الاختيار وبالتالي كشف السر بكامله، وتدمير المسار".

كانت منظمة التحرير تشعر دائماً بأهمية القضية الفلسطينية بالنسبة لمصر استراتيجياً، ففلسطين هي الطريق إلى الشام والى المشرق العربي عموماً (Heikal, Peace of illusions, Oslo before and after, 2004, p. 177) لذا أحاط الرئيس ياسر عرفات الرئيس المصري بنتائج الاتفاق عندما أصبح جاهزاً، لكن ليس هناك ما يقطع بوجود مشاورات مصرية – فلسطينية بشأن نصوص الاتفاق قبل التوقيع (Nafaa, 1997, p. 41) . وربما كان السبب رغبة منظمة التحرير في إحاطة النصوص بأكبر قدر ممكن من السرية، والتصرف كطرف مستقل لا يتلقي تعليمات من أحد ويضاف إلى ذلك أن مصر نفسها كانت حريصة على أن تتحمل المنظمة كامل المسؤولية عما تقبل أو لا تقبل بتوقيعه، وأن تنفي عن نفسها شبهة ممارسة أية ضغوط على المنظمة، فمن دون الجهود المصرية كان من الصعب أن تصل المنظمة إلى محطة (أوسلو) وتوقع هناك ما وقعته.

وكان ياسر عرفات يريد أن يقنع الدول العربية بوجهة نظره بتوقيع اتفاق (أوسلو) مع الجانب الإسرائيلي، يضاف إلى ذلك موقف الدول العربية من منظمة التحرير على خلفية وقوفها إلى جانب العراق، ولم يكن لدى ياسر عرفات أي تخوف من مصر كونها كانت معه خطوة بخطوة سواء في الاتصالات مع الولايات المتحدة أو مع إسرائيل ومن (مدريد) إلى (أوسلو) ، وكان عرفات يتوقع أن تساعده القاهرة لدى العواصم العربية التي يمكن أن تتخذ موقف الرفض وخاصة السعودية ودمشق وهو ما قامت به مصر على أكمل وجه (Heikal, o. p. Cit, 2004, pp. 301 - 306)

قرر ياسر عرفات في (21/ نيسان – إبريل/ 1993م) اطلاع الرئيس مبارك على تفصيلات التقدم التي أحرزت في (أوسلو) ، ووصف محمد حسني مبارك العودة إلى المفاوضات بالقرار الحكيم، وأن (رابين) » Rabin» من خلال المفاوضات لا بد أن يقدم شيئاً كما وعد ياسر عرفات بأنه سيقوم بزيارة إلى السعودية، والإمارات، وليبيا من أجل تقديم مساعدات مالية لمنظمة التحرير الفلسطينية، ووعده بإرسال مستشاره أسامة الباز إلى (تل أبيب) من أجل مساعدة للفلسطينيين، وأنه لا بد من التركيز على ورقة لإعلان المبادئ (Heikal, Secret Negotiations between the Arabs and Israel, 1996, p. 275) وبالرغم من عدم اقتناع الرئيس المصري بقناة (أوسلو) ورغبته في التركيز على محادثات (واشنطن) فإن الرئيس مبارك أرسل مستشاره أسامة الباز برسالة إلى (رابين) « Rabin» من أجل حث (رابين) « Rabin» على الإيعاز لوفده في (واشنطن) بتسريع الأمور، و لجس النبض فيما إذا كان (رابين) يعرف عن قناة (أوسلو) أو أن القناة واحدة من تجارب ومغامرات (شيمعون بيريز) » Shimon Peres» وعند حضوره أخبر ياسر عرفات بأن التوجه كان إيجابياً بوجه عام، وبأن (رابين) كان على علم بما يحدث (Heikal, Secret Negotiations between the Arabs and Israel, 1996, pp. 276 - 288) ويبدو أن حسني مبارك كان يرغب في استكمال ما تم بدأ به في (واشنطن) ، وعدم العودة إلى نقطة الصفر في المفاوضات، فكان جل ما يخشاه هو التهرب الإسرائيلي من ما تم التوصل إليه في محادثات (واشنطن) ، والضغط على منظمة التحرير الفلسطينية للخروج من المفاوضات، كما رأى أن أهمية المفاوضات تكمن في تثبيت منظمة التحرير على مسار المفاوضات وهو ما كانت إسرائيل ترفضه، يضاف إلى ذلك كسب تأييد بعض الدول المحايدة للقضية خاصة بعد الصورة التي رسمتها إسرائيل للمنظمة بأنها منظمة لا تريد السلام، وإثبات العكس بأن إسرائيل هي من تتنصل من هذا الأمر، وإظهارها للعالم على سجيتها بأنها دولة عنصرية.

طالبت إسرائيل في أواخر (أيار – مايو/ 1993م) بطلب حضور لقاء مستعجل، وبأن الوفد الإسرائيلي سيحضر برفقة رجل قانون، واستبشر الوفد الفلسطيني خيراً، واجتمعوا في اليوم التالي، وأجمع الوفد على أنه رغم الاستفزاز بالمفاوضات إلى أن الأمور تسير إلى الأمام، واعتبروا أي لقاء جديد يعني الاقتراب من الاتفاق، وأرسل الوسيط النرويجي – (لارسن) « Larsen» – ليبلغ الطرف الفلسطيني المفاوض – أحمد قريع أبو علاء – بأن إسرائيل جاهزة لاستئناف المفاوضات وأصر ياسر عرفات على أن تطرح قضية الانسحاب من غزة أريحا أولاً وأن يكون هناك ممر آمن بين المنطقتين وعقد الاجتماع في (3/ تموز – يوليو) الذي ساده كثير من التوتر (Nofal, The story of the Oslo agreement, the narrator of the whole truth, «Oslo cooks», 1995, pp. 75 - 84) وفي (12/ تموز – يوليو) تم التوصل إلى مسودة نهائية لإعلان المبادئ نتيجة للاتصالات النرويجية بين الجانبين، وفي (19/ آب – أغسطس/ 1993م) تم التوقيع على الاتفاق المعروف باتفاق (أوسلو "A") وتم الاعتراف المتبادل بين منظمة التحرير وإسرائيل في (9/ أيلول – سبتمبر/ 1993م) (Aljani, 1993, pp. 6 - 7) .

عد محمود عباس أبو مازن عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير وموقع الاتفاق رسمياً أن المنظمة قد حصلت من الإسرائيليين في إعلان المبادئ على أمور كثيرة كانوا يعتبرونها من المحرمات المستحيلة، معدداً في هذا السياق إقرارهم بوجود الشعب الفلسطيني، وبحق هذا الشعب في أرضه، وبمبدأ أن كل شيء قابل للتفاوض في حينه وخلص أبو مازن إلى أن الانسحاب الإسرائيلي من قطاع غزة وأريحا أولاً سيوصل إلى انسحاب شامل من الأراضي المحتلة جميعها عام (1967م) ، وأن الكيان الفلسطيني القادم سيفضي حتماً إلى دولة فلسطينية ذات سيادة (Abbas, 1995, pp. 307 - 322) .

استقبلت مصر هذا الاتفاق بحماسة مصدرها الظاهر أنه كان في وسعها أن تعتبره ثمرة رعايتها للمفاوضين الفلسطينيين، أما سببها الأعمق فهو أن الاتفاق يحمل في طياته تحقيقاً للعامل (الجيوبوليتيكي) الذي يؤسس للسياسة المصرية تجاه القضية الفلسطينية (Al - Husseini, 1999, p. 90) .

كان ياسر عرفات يعتقد أن لديه عوامل موضوعيه دفعته إلى قبول ما جرى التوقيع عليه في (أوسلو) وهو أول من يعرف أنه اتفاق سيئ لا يحقق الحد الأدنى مما كان يسميه الثوابت الفلسطينية؛ ويستحيل وصفه بتعبير سلام الشجعان الذي أعلن عنه عشرات المرات أنه مستعد لقبوله، ومن منظوره فأنه لم يكن لديه ما يستند إليه ومن ذلك دخول الدول العربية كلها في إطار التسوية بعد أن بدأت مصر، وكون المنظمة أصبحت منبوذة خاصة في دول الخليج بعد تأييد العراق في حرب الخليج الثانية (Heikal, o. p. Cit, 2004, p. 296)

حاول الرئيس مبارك التدخل لإعادة العلاقات بين منظمة التحرير وسوريا، وتم تحديد موعد يجمع الطرفين في (6/ تشرين الأول) ، ولكن سوريا عادت وأجلت الموعد نتيجة غضبها الشديد من الاتفاق وتدخلت الولايات المتحدة ومصر من أجل الجمع بين الطرفين ليقبل الأسد باستقبال عرفات بدمشق (Heikal, Ibid, 2004, pp. 304 - 306) وبذلك تكون مصر قد نجحت في جمع الدول العربية حول منظمة التحرير، وإقناعهم بما تم الاتفاق عليه خاصة في ظل المستجدات التي ظهرت على الساحة الدولية، والعربية، وبهذا الدور الدبلوماسي الذي قادته مصر تكون قد حمت منظمة التحرير من الوقوع في العزلة، والذي كان قد وقع عليها بعد توقيع اتفاق (كامب ديفيد) .

بعث (إسحاق رابين) »» Yitzhak Rabin في أوائل شهر (تشرين الأول – أكتوبر/ 1993م) إلى الرئيس مبارك يرجوه أن يرتب اجتماعاً بينه وبين عرفات وأن يكون الاجتماع في القاهرة، وكان يريد من هذا الاجتماع التأكد من أن ياسر عرفات ليست لديه أي أوهام عما تقول به الاتفاقية، وتم الاجتماع في (6/ تشرين الأول – أكتوبر/ 1993م) ، وكان هناك اقتراح مصري للأطراف بأن يشكلوا ما بينهم لجنتين: إحداهما سياسية لعملية نقل بعض الاختصاصات المدنية من سلطة الاحتلال الإسرائيلي إلى الإدارة الفلسطينية، والثانية للقضايا الأمنية، وكان كل من عرفات و (رابين) " Rabin « حريصين على أن يكون اجتماع اللجنتين في مصر، فتكون القاهرة مقر اللجنة السياسية، وتكون (طابا) مقر اللجنة الأمنية وأضيفت إلى اللجنتين واحدة ثالثة للشؤون الاقتصادية تقرر أن يكون مقرها في (باريس) ، وبدا أن الاتفاقية قادرة على الحياة (Heikal, Peace of illusions, Oslo before and after, 2004, pp. 334 - 335) .

الخاتمة

وقد توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها:

1. زاد الاهتمام المصري بالقضية الفلسطينية عقب اندلاع الانتفاضة عام (1987م) حيث أدركت مصر ضرورة إيجاد تسوية للصراع الفلسطيني الإسرائيلي بشكل خاص، والصراع العربي الإسرائيلي بشكل عام.

2. حاول الرئيس المصري استثمار الانتفاضة بالتوصل إلى تسوية لإنهاء الصراع الفلسطيني الإسرائيلي؛ من خلال إقامة مؤتمر دولي تحضره كافة الأطراف العربية والإسرائيلية في المنطقة للبحث والتفاوض.

3. نجحت مصر بعد جهود مكثفة في فتح حوار مباشر بين منظمة التحرير الفلسطينية والولايات المتحدة عام (1988م) ، وشكل ذلك مرحلة جديدة في ملف السلام في الشرق الأوسط.

4. كانت مصر من أشد المؤيدين لمؤتمر (مدريد) عام (1991م) ، وتمثل موقفها بالموافقة على تشكيل وفد أردني فلسطيني مشترك، وتمثل مدينة القدس جزءاً من الأراضي المحتلة التي تخضع للتفاوض والتمسك بقرارات مجلس الأمن، وسار التنسيق المصري الفلسطيني في مرحلة ما بعد (مدريد) في اتجاهين: الأول قيام مصر بوضع خبراتها التفاوضية مع إسرائيل، وما تملكه من وثائق في تصرف الوفد الفلسطيني في (مدريد) ، والآخر استمرار الجهود الرامية إلى فتح قنوات اتصال مباشر ما بين منظمة التحرير والولايات المتحدة، ثم بين إسرائيل والمنظمة.

5. كانت مصر تدرك بأن ما يجري من محادثات في (واشنطن) عام (1992م) لا يمكن أن يعبر عن حلول تقنع الجانب الإسرائيلي والفلسطيني بها ولكنها مع ذلك كانت تدرك أهمية هذه المحادثات في إطار تقريب وجهات النظر نحو عملية سلام تلبي ولو جزء بسيط من طموحات الشعب الفلسطيني في تحقيق كينونته.

6. لعبت مصر دوراً رياديا في إقناع الدول العربية باتفاقية (أوسلو) ، وتقريب وجهات النظر بين منظمة التحرير والدول العربية على إثر الخلاف الذي كان قائماً بسبب موقف منظمة التحرير المؤيد للرئيس العراقي صدام حسين في حربه مع الكويت.

7. استقبلت مصر اتفاق (أوسلو) بحماسة مصدرها الظاهر أنه كان في وسعها أن تعتبره ثمرة رعايتها للمفاوضين الفلسطينيين، أما سببها الأعمق فهو أن الاتفاق يحمل في طياته تحقيقاً للعامل (الجيوبوليتيكي) الذي يؤسس للسياسة المصرية تجاه القضية الفلسطينية.

التوصيات

1. يحتاج التعامل مع إسرائيل إلى مزيد من الحزم ومن تكوين جبهة عربية متماسكة، وأن يجري التنسيق بين أطرافها على مستوى عال من المسؤولية، وتجاوز الخلافات الداخلية بين الدول العربية؛ لأن ذلك سيكون ورقة ضغط مؤثرة في العملية السلمية في المنطقة وزيادة الضغوط الدولية على إسرائيل للقبول بالقرارات الدولية.

2. استثمار الإمكانيات العربية في الضغط على إسرائيل والدول الأوروبية لإيجاد حل عادل للقضية الفلسطينية على غرار سلاح النفط، يضاف إلى ذلك تشكيل لوبي اقتصادي عربي.

3. العمل على تغيير المواقف الأمريكية وجعلها تتخذ مواقف حيادية تجاه قضايا الحل النهائي للصراع العربي الإسرائيلي عامة والفلسطيني خاصة.

4. يجب على الفلسطينيين ترتيب البيت الفلسطيني السياسي، واستغلال العلاقات المصرية الجيدة بأمريكا، وخبرتها بالتفاوض

مع الجانب الإسرائيلي بالإضافة إلى دورها المحوري في منطقة الشرق الأوسط بغية الوصول إلى هدفها المنشود بإقامة الدولة الفلسطينية.

5. عمل دراسات تستهدف علاقة الدول العربية بإسرائيل ودراسة المعاهدات والاتفاقيات التي تم توقيعها والاستفادة من نقاط القوة والضعف فيها.

6. ضرورة الإعداد المسبق لأي اتفاقية سوف يتم التوقيع عليها مع الجانب الإسرائيلي، وتحقيق وحدة رأي عربي حولها.

قائمة المصادر والمراجع العربية

المصادر والمراجع العربية

المصادر

- بيرس، شمعون. (1994) . الشرق الأوسط الجديد، د. ط، عمان: دار الجليل للنشر.
- شاش، طاهر. (1995) . المواجهة والسلام في الشرق الأوسط الطريق إلى غزة أريحا، ط1، القاهرة: دار الشروق.
- عباس، محمود. (1995) . طريق أوسلو موقع الاتفاق يحكي الأسرار الحقيقية للمفاوضات، ط1، لبنان: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر.
- عشراوي، حنان. (1995) . جانب الحساب الشخصي، د. ط، نيويورك: سايمون وشوستر.
- هيكل، محمد حسنين. (1996) . المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل، ط1، القاهرة: دار الشروق.
- هيكل، محمد حسنين. (2001) . سلام الأوهام أوسلو ما قبلها وما بعدها، ط7، القاهرة: دار الشروق.

الكتب

- أبراهام، دانيال. (2007) . السلام ممكن، حوارات متصلة مع قادة عرب وإسرائيليين، د. ط، رام الله: مدار المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية.
- أحمد، يوسف أحمد. (1988) . الصراعات العربية – العربية 1945 – 1981، ط1، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- الجميعي، عبد المنعم إبراهيم. (2011) . مصر والمسألة الفلسطينية: دراسات معاصرة لبعض جوانبها، ط1، لبنان: بيسان للنشر والتوزيع.
- حواتمة، نايف. (1998) . أوسلو والسلام الآخر المتوازن، د. ط، لبنان: بيسان للنشر والتوزيع.
- الخولي، لطفي. (1989) . الانتفاضة والدولة الفلسطينية، ط1، القدس: وكالة أبو عرفة.
- سلطان، جمال مصطفى. (2002) . الإستراتيجية الأمريكية في الشرق الأوسط، ط1، عمان، دار الشروق.
- سليمان، محمد. (1996) . وكالة الأنباء الفلسطينية (وفا) 1972 – 2008. ط1، رام الله، وفاسترياته الإعلام الفلسطيني.
- عثمان، عمر. (2011) . الدراسات الفلسطينية، نابلس: جامعة النجاح الوطنية.
- الغبرا، شفيق. (1997) . إسرائيل والعرب من صراع قضايا إلى سلام المصالح، ط1، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- غليون، برهان. (1999) . العرب ومعركة السلام: نقد السياسة العملية، ط1، بيروت: المركز الثقافي العربي.
- مسلم، عدنان. (1996) . الموقف الرسمي والشعبي المصري من القضية الفلسطينية والانتفاضة، ب. ب.
- المصري، زهير. (2008) . اتجاهات الفكر السياسي الفلسطيني بين الكفاح المسلح والاستيطان، ط1، فلسطين: مكتبة اليازجي.
- نافع، إبراهيم. (1993) . عاصفة الخليج الفتنة الكبرى، ط2، القاهرة: مركز الأهرام للنشر والتوزيع.
- نوفل، ممدوح. (1995) . قصة اتفاق أوسلو الراوية الحقيقة الكاملة "طبخة أوسلو"، ط1، المملكة الأردنية الهاشمية: الأهلية للنشر والتوزيع.
- نوفل، ممدوح. (2000) . البحث عن دولة، ط1، رام الله: مواطن المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية.
- نوفل، ممدوح. (1996) . الانقلاب أسرار مفاوضات المسار الفلسطيني – مدريد – واشنطن، ط1، رام الله: دار الشروق للنشر.
- هالتر، ماريك. (1994) . مجانين السلام للقضية السرية لمفاوضات أوسلو بين منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل، ط1، بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر.

دوريات

- تراكي، ليزا. (1990) . قبل الطوفان: تطور الوعي السياسي في المناطق المحتلة تمهيداً للانتفاضة. مجلة آفاق فلسطينية، ع65.
- الجاني، برهان. (1993) . الاعتراف المتبادل بين حكومة دولة إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية. مجلة المستقبل العربي، نوفمبر.
- الحسيني، مصطفى. (1999) . مصر والمفاوضات الفلسطينية الإسرائيلية حدود الدور الإقليمي، مجلة الدراسات الفلسطينية، المجلد 10، ع 40.
- الشاذلي، خلاف. (1995) . المتغيرات الدولية وتحديات العمل العربي المشترك، مجلة شؤون عربية، ع 83.
- شاهين، أحمد. (1992، أبريل – مايو) . التنسيق ضرورة عربية، مجلة الشؤون الفلسطينية، ع 229 – 230.
- شاهين، أحمد. (1993، يوليو – أغسطس) . رهان على الشريك الأمريكي الكامل، مجلة الشؤون الفلسطينية، ع244 – 245.
- محمد، محمد عبد القادر. (1999) . إستراتيجية التفاوض السورية مع إسرائيل – دراسات استراتيجية – ، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، ع25.
- هواري، زهير. (2005) . نصف قرن دفاعا عن فلسطين. مجلة الدراسات الفلسطينية، ع59.
- هدسون، م. (1996) . اللعب هيمنة خمسين عامًا من السياسة الأمريكية تجاه الشرق الأوسط، مجلة الشرق الأوسط، ع50.

صحف

- صحيفة القدس. (1/ نيسان/ 1993) . ع 8472.
- صحيفة النهار. (27/ نيسان/ 1992) . ع 1852.

- صحيفة هآرتس الاسرائيلية، 15/ أيار – مايو/ 19889م.

المصادر والمراجع العربية مترجمة

- *Abbas, M. (1995) . Oslo Road, Al - Ettifaq website tells the true secrets of the negotiations. 1st ed. , Publications Company for Distribution and Publishing: Lebanon.*
- *Al - Ghabra, S. (1997) . Israel and the Arabs, from a conflict of issues to a peace of interests. Beirut: The Arab Foundation for Studies and Publishing.*
- *Ibrahim, D. (2007) . Peace is possible, connected dialogues with Arab and Israeli leaders. Ramallah: Madar The Palestinian Center for Israeli Studies.*
- *Abu Zuhaira, I. (2003) . Changing Palestinian Political Thought,. Roya Magazine.*
- *Ahmed, & Ahmed, Y. (1988) . Arab - Arab Conflicts 1945 - 1981. Beirut: Center for Arab Unity Studies.*
- *Al - Husseini, M. (1999, Volume 10) . Egypt and the Palestinian - Israeli Negotiations The Limits of the Regional Role. Journal of Palestinian Studies.*
- *Al - Jama'i, A. M. (2011) . Egypt and the Palestinian Question: Contemporary Studies for Some Its Aspects.*
- *Aljani, B. (1993, November) . Mutual Recognition between the Government of the State of Israel and the Palestine Liberation Organization. The Arab Future.*
- *Al - Masry, Z. (2008) . Trends of Palestinian political thought between armed struggle and settlement. Palestine: Al Yaziji Library.*
- *Ashrawi, H. (1995) . The Side of Personal Account. New York: Simon and Schuster.*
- *El Khouly, L. (1989) . The Intifada and the Palestinian State. Quds: Abu Arafa Agency.*
- *Ghabra, N. (1997) . Israel and the Arabs: From the conflict of issues to the peace of interests. Beirut: The Arab Foundation for Studies and Publishing.*
- *ghliun, b. (1999) . The Arabs and the Battle for Peace: A Critique of Practical Politics. Arab Cultural Center.*
- *Halter, M. L. (1994) . Peace Maniacs for the Secret Case of the Oslo Negotiations between the Palestine Liberation Organization and Israel. Beirut: Dar Al - Tali'a for Printing and Publishing.*
- *Hawari, Z. (2005) . Half a Century in Defense of Palestine. Journal of Palestinian Studies.*
- *Hawatmeh, N. (1998) . Oslo and the other balanced peace. Lebanon: Bissan Publishing and Distribution.*
- *Heikal, M. H. (2004) . Peace of illusions, Oslo before and after. Cairo: Dar Al - Shorouk.*
- *Heikal, M. H. (1996) . Secret Negotiations between the Arabs and Israel. Cairo: Dar Al - Shorouk.*
- *Hudson, M. (1996, Summer) . To Play Hegemony Fifty Years of U. S Policy toward the Middle East. Middle East Journal.*
- *Muhammad, M. A. (vol. 25) . The Syrian Negotiation Strategy with Israel. Emirates Center for Strategic Studies and Research.*
- *Muslim, A. (1996) . The official and popular Egyptian position on the Palestinian cause and the Intifada. without: without.*
- *Nafaa, H. (1997) . Egyptian - Palestinian Relationship: An Analytical View. Journal of Palestinian Studies.*
- *Nafie, A. (1993) . From the file of the Palestinian cause, the road to Madrid.*
- *Nafie, I. (1993) . The Great Sedition Gulf Storm. Al - Ahram Center for Publishing and Distribution.*
- *Newspaper, A. - Q. (1993) . Al - Quds Newspaper , vol. 8472.*
- *Newspaper, N. (27/ April 1992) . Nahar newspaper.*
- *Nofal, M. (2000) . Search for a country. Ramallah: Citizen of the Palestinian Institute for the Study of Democracy.*
- *Nofal, M. (1996) . The coup The secrets of the Palestinian track negotiations - Madrid - Washington. Ramallah: Al - Shorouk Publishing House.*
- *Nofal, M. (1995) . The story of the Oslo agreement, the narrator of the whole truth, "Oslo cooks". Kingdom of Jordan: El Ahlia for Publishing and Distribution.*
- *Osman, O. (2011) . Palestinian Studies. Nablus: An - Najah National University.*
- *Peres, S. (1994) . The New Middle East. Amman: Dar Al - Jalil Publishing.*
- *Shaheen, A. (1993, July - August) . A Bet on the Perfect American Partner. Palestinian Affairs.*
- *Shaheen, A. (1992, April - May) . Coordination is an Arab necessity. Palestinian affairs.*
- *Shash, T. (1995) . Confrontation and Peace in the Middle East The Road to Gaza Jericho. Cairo: Sunrise House.*
- *Shash, T. (1995) . Confrontation and Peace in the Middle East The Road to Gaza Jericho. Cairo, Dar Al - Shorouk.*
- *Sultan, Jamal Mustafa (2002) . American strategy in the Middle East, Amman, Sunrise House.*
- *Suleiman, M. (1996) . The Palestinian News Agency, WAFA, 1972 - 2008. And we will see it in the Palestinian media.*
- *Taraki, L. (1990) . Before the Flood: The Development of Political Awareness in the Occupied Territories as a Prelude to the Intifada. Palestinian Horizons.*

المصادر والمراجع الأجنبية

- Baker, James (1999) . James Baker's Memoirs: The Politics of Diplomacy, New York, Putnam. ترجمة مجدي شرار
- Haaretz Israeli newspaper 15/ 5/ 1989 ترجمة عيسى شاهين